الوحدة السادسة

مقومات أمن الدولة والمجتمعات – 1

أهداف الوحدة

عزيزي الدراس يتوقع منك عند نهاية دراسة هذه الوحدة تحقيق الأهداف الآتية:-

١ -إدراك أن هناك أموراً اساسية تحتاجها الدول والجماعات لتحقيق أمنها.

٢ -إدراك أن الدين من أهم مقومات أمن الدول والجماعات.

٣ -التعرف على دول وأمم هلكت وزالت بسبب فقدها للدين الصحيح.

٤ -التعرف على أن لزوم الجماعة من المقومات الهامة في استقرار الدول والجماعات.

٥ -القدرة على تحقيق لزوم الجماعة في النفس ودعوة الآخرين إليه والتحذير من ضده.

مقومات أمن الدولة والمجتمعات

مدخل:

الأمن ضد الخوف، سواء تعلق بالأنفس، أو الأموال، أوالأعراض أو نحوها، فمن خاف على نفسه فهو غير آمن، ومن خاف على أهله أو ماله فهو غير آمن، ومن خاف على عرضه فهو غير آمن، فالأمن وقار في القلب، وسكون في النفس، وطمأنينة في البال، وزوال للخوف والضجر، ولا يمكن أن يطيب للإنسان عيش بفقد الأمن، فلا يهنأ بطعام أو شراب، ولا يستلذ بنوم، ولا يهدأ له بال ما دام خائفاً. ولقد دعا إبراهيم عليه السلام بالأمن في البلد الحرام، كما في قوله سبحانه: {وَإِذْ قَالَ إِبْرَاهِيمُ رَبِّ اجْعَلْ هَذَا الْبَلَدَ آمِنًا وَاجْنُبْنِي وَبَنِيَّ أَن نَّعْبُدَ الأَصْنَامَ}[إبراهيم: ٣٥].

والأمن مطلب تنشده البشرية جمعاء سواء على مستوى الأفراد أو الجماعات أو الدول، ولذا فإنه لا يوجد دولة على وجه الأرض ليس لديها أجهزة أمنية تسعى لتحقيقه، إلا أن هناك وسائل هامة في تحقيق الأمن في الأمم والمجتمعات تغفل عنها الكثير، وهي:

الأول: الدين :

ليس كل دين يحقق الأمن للأمم والمجتمعات، إنما الدين الذي يحقق ذلك هو دين الإسلام، وهو الدين الذي دعا إليه نبينا محمد (صلى الله عليه وسلم)، وهو الذي دعا إليه الأنبياء من قبل، قال تعالى: {إِنَّ الدِّينَ عِندَ اللَّهِ الإِسْلاَمُ}[آا عمران:19].

ولقد دلت النصوص الشرعية على مدى تحقيق الدين للأمن، قال سبحانه: {الَّذِينَ آمَنُواْ وَلَمْ يَلْبِسُواْ إِيمَانَهُم بِظُلْمٍ أُوْلَئِكَ لَهُمُ الأَمْنُ وَهُم مُّهْتَدُونَ}[الأنعام: 82]. كما أن الله سبحانه وتعالى وعد الذين آمنوا به وعملوا الصالحات أن يحقق لهم الأمن، فقال سبحانه: {وَعَدَ اللَّهُ الَّذِينَ آمَنُوا مِنكُمْ وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ لَيَسْتَخْلِفَنَّهُم فِي الأَرْضِ كَمَا اسْتَخْلَفَ الَّذِينَ مِن قَبْلِهِمْ وَلَيُمَكِّنَنَّ لَهُمْ دِينَهُمُ الَّذِي ارْتَضَى لَهُمْ وَلَيُبَدِّلَنَّهُم مِّن بَعْدِ خَوْفِهِمْ أَمْنًا يَعْبُدُونَنِي لا يُشْرِكُونَ بِي شَيْئًا}[النور: 55].

قال ابن كثير رحمه الله تعالى: (هذا وعد من الله لرسوله (صلى الله عليه وسلم)، بأنه سيجعل أمته خلفاء الأرض، أي: أئمةَ الناس والولاةَ عليهم، وبهم تصلح البلاد، وتخضع لهم العباد، ولَيُبدلَنّ بعد خوفهم من الناس أمنا وحكما فيهم، وقد فعل تبارك وتعالى ذلك، وله الحمد والمنة)[1].

ولقد وصلت أمة محمد (صلى الله عليه وسلم) بإيمانها بربها وبرسوله (صلى الله عليه وسلم) إلى درجة عالية من الأمن، يدل على ذلك حديث عدي بن حاتم (رضي الله عنه)، قال: قال لي رسول الله (صلى الله عليه وسلم): (أَتَعْرِفُ الْحِيرَةَ قُلْتُ لَمْ أَرَهَا وَقَدْ سَمِعْتُ بِهَا، قَالَ: فَوَالَّذِي نَفْسِي بِيَدِهِ لَيُتِمَّنَّ

---

(1) تفسير القرآن العظيم، ابن كثير، 401/3.

اللَّهُ هَذَا الْأَمْرَ حَتَّى تَخْرُجَ الظَّعِينَةُ [1] مِنْ الْحِيرَةِ حَتَّى تَطُوفَ بِالْبَيْتِ فِي غَيْرِجِوَارِ أَحَدٍ، وَلَيَفْتَحَنَّ كُنُوزَ كِسْرَى بْنِ هُرْمُزَ، قَالَ: قُلْتُ: كِسْرَى بْنُ هُرْمُزَ؟ قَالَ: نَعَمْ كِسْرَى بْنُ هُرْمُزَ، وَلَيُبْذَلَنَّ الْمَالُ حَتَّى لَا يَقْبَلَهُ أَحَدٌ؛ قَالَ عَدِيُّ بْنُ حَاتِمٍ: فَهَذِهِ الظَّعِينَةُ تَخْرُجُ مِنْ الْحِيرَةِ فَتَطُوفُ بِالْبَيْتِ فِي غَيْرِ جِوَارٍ، وَلَقَدْ كُنْتُ فِيمَنْ فَتَحَ كُنُوزَ كِسْرَى بْنِ هُرْمُزَ، وَالَّذِي نَفْسِي بِيَدِهِ لَتَكُونَنَّ الثَّالِثَةُ لِأَنَّ رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَدْ قَالَهَا) [2].

وقال تعالى: {لإِيلافِ قُرَيْشٍ (1) إِيلافِهِمْ رِحْلَةَ الشِّتَاء وَالصَّيْفِ (2) فَلْيَعْبُدُوا رَبَّ هَذَا الْبَيْتِ (3) الَّذِي أَطْعَمَهُم مِّن جُوعٍ وَآمَنَهُم مِّنْ خَوْفٍ (4)}[قريش:4.1].

قال ابن كثير رحمه الله تعالى: (أي: هو رب البيت، وهو " الَّذِي أَطْعَمَهُمْ مِنْ جُوعٍ وَآمَنَهُمْ مِنْ خَوْفٍ " أي: تفضل عليهم بالأمن والرخص، فليفردوه بالعبادة وحده لا شريك له، ولا يعبدوا من دونه صنمًا ولا ندا ولا وثنًا. ولهذا من استجاب لهذا الأمر جَمَع الله له بين أمن الدنيا وأمن الآخرة، ومن عصاه سلبهما منه) [3].

وقال تعالى: {وَضَرَبَ اللَّهُ مَثَلاً قَرْيَةً كَانَتْ آمِنَةً مُّطْمَئِنَّةً يَأْتِيهَا رِزْقُهَا رَغَدًا مِّن كُلِّ مَكَانٍ فَكَفَرَتْ بِأَنْعُمِ اللَّهِ فَأَذَاقَهَا اللَّهُ لِبَاسَ الْجُوعِ وَالْخَوْفِ بِمَا كَانُواْ يَصْنَعُونَ} [النحل:112].

وهذه القرية هي مكة المشرفة التي كانت آمنة مطمئنة لا يهاج [4] فيها أحد، وتحترمها الجاهلية الجهلاء حتى إن أحدهم يجد قاتل أبيه وأخيه، فلا يهيجه مع شدة الحمية فيهم، والنعرة العربية. فحصل لها من الأمن التام ما لم يحصل لسواها، وكذلك الرزق الواسع؛ كانت بلدة ليس فيها زرع ولا شجر، ولكن يسر الله لها الرزق يأتيها من كل مكان، فجاءهم رسول منهم يعرفون أمانته وصدقه، يدعوهم إلى أكمل الأمور، وينهاهم عن الأمور السيئة، فكذبوه وكفروا بنعمة الله عليهم، فأذاقهم الله ضد ما كانوا فيه، وألبسهم لباس الجوع الذي هو ضد الرغد، والخوف الذي هو ضد الأمن، وذلك بسبب صنيعهم وكفرهم وعدم شكرهم[5].

---

(١) الظعينة: هي المرأة. وقيل هي المرأة في الهودج، وسميت به على حد تسمية الشيء باسم الشيء لقربه منه. وقيل: سميت المرأة ظعينة لأنها تظعن مع زوجها، وتقيم بإقامته... وجمعه: ظعائن. انظر: لسان العرب لابن منظور، مادة (ظعن).

(٢) أخرجه البخاري، كتاب الجهاد والسير، حديث رقم2845.

(٣)تفسير القرآن العظيم، ابن كثير، 717/4.

(٤) وهاج الشيء يهيج هيجا وهياجا وهيجانا أي ثار لمشقة أو ضرر. انظر: لسان العرب لابن منظور، مادة (هيج).

(٥) تفسير القرآن العظيم، ابن كثير، 777/2. وانظر: تفسير البغوي، 48/1.

ومن منهج الإسلام أن جعل الإنسان المسلم مصدراً لتحقيق الأمن للآخرين، ويدل على ذلك قوله (صلى الله عليه وسلم): (المسلِمُ مَن سَلِمَ المسلِمونَ مِن لسانِهِ ويَدِهِ، والمؤمِنُ مَن أمِنَهُ الناسُ علَى دِمائِهِم وأموالِهِم)[1].

هلاك الأمم السابقة بكفرهم:

لقد قص الله سبحانه وتعالى علينا في محكم كتابه أمماً كفرت بالله وكذبت رسله، فأزال الله ملكهم وشتت شملهم وأبدلهم بعد الأمن خوفاً، وبعد الرغد شقاءً، وذلك بعد أن كانت تلك الأمم قوية آمنة مستقرة رغيدة، فجعلها الله سبحانه وتعالى عبرة لغيرها في مصيرها، إذ رفضت الدين، وآثرت الكفر على الإيمان، ومن تلك النماذج، ما يلي:

قوم سبأ:

لقد كان قوم سبأ في أمن ورغد عيش عندهم من ثمار وطيب المكان ما لم يكن عند غيرهم، فزال عنهم الأمن والرغد، وتشتتوا في كل مكان بسبب كفرهم وإعراضهم، وذكر الله سبحاته وتعالى لنا حالهم بقوله: {لَقَدْ كَانَ لِسَبَإٍ فِي مَسْكَنِهِمْ آيَةٌ جَنَّتَانِ عَن يَمِينٍ وَشِمَالٍ كُلُوا مِن رِّزْقِ رَبِّكُمْ وَاشْكُرُوا لَهُ بَلْدَةٌ طَيِّبَةٌ وَرَبٌّ غَفُورٌ (15) فَأَعْرَضُوا فَأَرْسَلْنَا عَلَيْهِمْ سَيْلَ الْعَرِمِ وَبَدَّلْنَاهُم بِجَنَّتَيْهِمْ جَنَّتَيْنِ ذَوَاتَى أُكُلٍ خَمْطٍ وَأَثْلٍ وَشَيْءٍ مِّن سِدْرٍ قَلِيلٍ (16) ذَلِكَ جَزَيْنَاهُم بِمَا كَفَرُوا وَهَلْ نُجَازِي إِلاَّ الْكَفُورَ (17) وَجَعَلْنَا بَيْنَهُمْ وَبَيْنَ الْقُرَى الَّتِي بَارَكْنَا فِيهَا قُرًى ظَاهِرَةً وَقَدَّرْنَا فِيهَا السَّيْرَ سِيرُوا فِيهَا لَيَالِيَ وَأَيَّامًا آمِنِينَ (18) فَقَالُوا رَبَّنَا بَاعِدْ بَيْنَ أَسْفَارِنَا وَظَلَمُوا أَنفُسَهُمْ فَجَعَلْنَاهُمْ أَحَادِيثَ وَمَزَّقْنَاهُمْ كُلَّ مُمَزَّقٍ إِنَّ فِي ذَلِكَ لآيَاتٍ لِّكُلِّ صَبَّارٍ شَكُورٍ} [سبإ:1915].

قال ابن كثير: (كانوا في نعمة وغبطة في بلادهم وعيشهم واتساع أرزاقهم وزروعهم وثمارهم، فبعث الله تبارك وتعالى إليهم الرسل تأمرهم أن يأكلوا من رزقه ويشكروه بتوحيده وعبادته، فكانوا كذلك ما شاء الله تعالى، ثم أعرضوا عما أمروا به، فعوقبوا بإرسال السيل والتفرق في البلاد ... وكان من أمر السد، أنه كان الماء يأتيهم من بين جبلين وتجتمع إليه أيضا سيول أمطارهم وأوديتهم، فعمد ملوكهم الأقدمون فبنوا بينهما سدا عظيما محكما حتى ارتفع الماء وحكم على حافات ذينك الجبلين، فغرسوا الأشجار واستغلوا الثمار في غاية ما يكون من الكثرة والحسن، كما ذكر غير واحد من السلف منهم قتادة، أن المرأة كانت تمشي تحت الأشجار وعلى رأسها مكتل أو زنبيل، وهو الذي تخترف فيه الثمار، فيتساقط من الأشجار في ذلك ما يملؤه من غير أن يحتاج إلى كلفة ولا قطاف لكثرته ونضجه واستوائه،

---

(1) أخرجه الترمذي،كتاب الإيمان، حديث رقم 2627. قال أبو عيسى: هذا حديث حسن صحيح. ويروى عن النبي صلى الله عليه وسلم أنه سئل أي المسلمين أفضل؟ قال: من سلم المسلمون من لسانه ويده.

وكان هذا السد بمأرب بلدة بينها وبين صنعاء ثلاث مراحل ويعرف بسد مأرب، وذكر آخرون أنه لم يكن ببلدهم شيء من الذباب ولا البعوض ولا البراغيث ولا شيء من الهوام، وذلك لاعتدال الهواء وصحة المزاج وعناية الله بهم ليوحدوه ويعبدوه كما قال تبارك وتعالى: " لقد كان لسبإ في مسكنهم آية " ثم فسرها بقوله عز وجل: " جنتان عن يمين وشمال " أي من ناحيتي الجبلين والبلدة بين ذلك، "كلوا من رزق ربكم واشكروا له بلدة طيبة ورب غفور" أي غفور لكم إن استمررتم على التوحيد" [1].

فرعون وقومه:

كان فرعون من جبابرة الأرض يتقلب بنعم الله ويتمتع بقوة عظيمة، فغره ما كان فيه من ملك وقوة كما أخبر الله عنه بقوله: {وَنَادَى فِرْعَوْنُ فِي قَوْمِهِ قَالَ يَا قَوْمِ أَلَيْسَ لِي مُلْكُ مِصْرَ وَهَذِهِ الأَنْهَارُ تَجْرِي مِن تَحْتِي أَفَلا تُبْصِرُونَ} [الزخرف:51].

إلا أن كفره بالله وتكبره وتجبره على عباد الله كان سبباً في هلاكه وهلاك قومه الذين اتبعوه وأطاعوه، وكانت النجاة والفلاح لعباد الله المؤمنين من بني إسرائيل مع موسى عليه السلام، مع ضعفهم وقلة عددهم، {وَإِذْ فَرَقْنَا بِكُمُ الْبَحْرَ فَأَنجَيْنَاكُمْ وَأَغْرَقْنَا آلَ فِرْعَوْنَ وَأَنتُمْ تَنظُرُونَ } [البقرة:50]، وأورث الله سبحانه وتعالى الأرض لعباده المؤمنين، {وَأَوْرَثْنَا الْقَوْمَ الَّذِينَ كَانُواْ يُسْتَضْعَفُونَ مَشَارِقَ الأَرْضِ وَمَغَارِبَهَا الَّتِي بَارَكْنَا فِيهَا وَتَمَّتْ كَلِمَةُ رَبِّكَ الْحُسْنَى عَلَى بَنِي إِسْرَآئِيلَ بِمَا صَبَرُواْ وَدَمَّرْنَا مَا كَانَ يَصْنَعُ فِرْعَوْنُ وَقَوْمُهُ وَمَا كَانُواْ يَعْرِشُونَ}[الأعراف:137].

عاد وثمود:

عاد وثمود من الأمم القوية في الأرض والذين لهم تاريخ في القوة والبطش، ولكنهم لما رفضوا الإيمان، وكفروا بالله، وكذبوا رسله، لم يمنعهم ما هم فيه من القوة والطغيان من زوال الأمن والهلاك، قال تعالى في شأنهم: {أَلَمْ تَرَ كَيْفَ فَعَلَ رَبُّكَ بِعَادٍ (6) إِرَمَ ذَاتِ الْعِمَادِ (7) الَّتِي لَمْ يُخْلَقْ مِثْلُهَا فِي الْبِلادِ (8) وَثَمُودَ الَّذِينَ جَابُوا الصَّخْرَ بِالْوَادِ}[الفجر: 6-9]، وفي موضع آخر قال تعالى:{كذبت ثمود وعاد بالقارعة فأما ثمود فأهلكوا بالطاغية وأما عاد فأهلكوا بريح صرصر عاتية سخرها عليهم سبع ليال وثمانية أيام حسوما فترى القوم فيها صرعى كأنهم أعجاز نخل خاوية فهل ترى لهم من باقية} [الحاقة:4-8].

وغيرهم من الأقوام الذين أهلكهم الله سبحانه وتعالى بكفرهم وتكذيب رسلهم بأنواع متعددة من العذاب، كما في قوله سبحانه وتعالى: {فَكُلاًّ أَخَذْنَا بِذَنبِهِ فَمِنْهُم مَّنْ أَرْسَلْنَا عَلَيْهِ حَاصِبًا وَمِنْهُم مَّنْ أَخَذَتْهُ الصَّيْحَةُ وَمِنْهُم مَّنْ خَسَفْنَا بِهِ الأَرْضَ وَمِنْهُم مَّنْ أَغْرَقْنَا وَمَا كَانَ اللَّهُ لِيَظْلِمَهُمْ وَلَكِن كَانُوا

([1]) تفسير القرآن العظيم، ابن كثير، 704/3.

أَنفُسَهُمْ يَظْلِمُونَ} [العنكبوت:40]، وإذا كان الحال كذلك، فكيف يتحقق الأمن لمن فقد الإيمان بالله تعالى؟!.

واقعنا المعاصر :

لم يعد القرآن ينزل حتى يروي لنا هلاك الأمم وأسبابه، إلا أن سنة الله سبحانه باقية لا تتبدل ولا تتأخر فمن كفر بالله سبحانه وتعالى وعادى رسوله فهو مهدد بأن يصيبه ما أصاب الأولين من الهلاك، ولقد أمر الله تعالى نبيه محمداً (صلى الله عليه وسلم) أن ينذر قومه فقال: {فَإِنْ أَعْرَضُوا فَقُلْ أَنذَرْتُكُمْ صَاعِقَةً مِّثْلَ صَاعِقَةِ عَادٍ وَثَمُودَ}[فصلت: 13]. يقول تعالى: قل يا محمد لهؤلاء المشركين المكذبين بما جئتهم به من الحق: إن أعرضتم عما جئتكم به من عند الله، فإني أنذركم حلول نقمة الله بكم، كما حلت بالأمم الماضين من المكذبين بالمرسلين(١).

ولما ذكر الله سبحانه قصة هلاك قوم لوط، قال: {مُّسَوَّمَةً عِندَ رَبِّكَ وَمَا هِيَ مِنَ الظَّالِمِينَ بِبَعِيدٍ}[هود:83].

وإننا نرى في الحوادث المعاصرة أصنافاً مما عذب الله به الأولين مثل الفيضانات والأعاصير والزلازل والبراكين وغيرها من الظواهر الكونية المهلكة. وإذا تأملنا واقع البشرية اليوم، نجد أن أكثرهم على الكفر بالله سبحانه وتعالى وتكذيب رسله، فكيف يرجو من كانت هذه حاله الأمن في حياته، وقد فقد الإيمان الذي هو السبب الرئيس لتحقيق الأمن.

وإن كانت هناك كثير من الأمم والشعوب تنعم بالأمن النسبي، فإنها لا تدرى ماذا يكون في مستقبلها، ثم إن الإنسان ليس بحاجة إلى الأمن في هذه الحياة فحسب، بل هو بحاجة أكثر إلى الأمن يوم القيامة، {وَمَا أَمْوَالُكُمْ وَلا أَوْلادُكُم بِالَّتِي تُقَرِّبُكُمْ عِندَنَا زُلْفَى إِلاَّ مَنْ آمَنَ وَعَمِلَ صَالِحًا فَأُوْلَئِكَ لَهُمْ جَزَاء الضِّعْفِ بِمَا عَمِلُوا وَهُمْ فِي الْغُرُفَاتِ آمِنُونَ}[سبإ: 37]، وفي آية أخرى: {مَن جَاء بِالْحَسَنَةِ فَلَهُ خَيْرٌ مِّنْهَا وَهُم مِّن فَزَعٍ يَوْمَئِذٍ آمِنُونَ}[النمل:89]، وإن حصل لغير المؤمنين أمن نسبي في هذه الحياة، فإنهم يوم القيامة محرومون من الأمن بكل أصنافه.

ولو جئنا نتأمل في جوانب الأمن الأساسية التي يحتاجه الإنسان، لوجدنا أنها الأمن على الدين، والنفس، والعقل، والمال، والعرض، وهي الضرورات الخمس التي جاء الإسلام برعايتها، والحفاظ عليها ليتحقق الأمن للإنسان.

فقد جاء الإسلام للحفاظ على النفس بتحريم الاعتداء عليها، وأوجب القصاص في حال قتلها ظلماً وعدواً كما في قوله سبحانه وتعالى: {وَلَكُمْ فِي الْقِصَاصِ حَيَاةٌ يَاْ أُولِيْ الأَلْبَابِ لَعَلَّكُمْ

---

(١) تفسير القرآن العظيم، ابن كثير، 120/4.

تَتَّقُونَ}[البقرة:179]، وجعل جريمة القتل من أشد الجرائم وأشنعها، فقال: {من قتل نفسا بغير نفس أو فساد في الأرض فكأنما قتل الناس جميعا ومن أحياها فكأنما أحيا الناس جميعا} [المائدة:32].

وفي الأمن على العقل حرم الإسلام كل ما يكون سبباً في إفساد هذا العقل، مثل: المخدرات والمسكرات، كما في قوله سبحانه وتعالى: {إِنَّمَا الْخَمْرُ وَالْمَيْسِرُ وَالأَنصَابُ وَالأَزْلاَمُ رِجْسٌ مِّنْ عَمَلِ الشَّيْطَانِ فَاجْتَنِبُوهُ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ}: [المائدة 90]، وبين سبحانه أن الخمر بإفسادها للعقل هي طريق من طرق الشيطان، فقال سبحانه: {إِنَّمَا يُرِيدُ الشَّيْطَانُ أَن يُوقِعَ بَيْنَكُمُ الْعَدَاوَةَ وَالْبَغْضَاء فِي الْخَمْرِ وَالْمَيْسِرِ وَيَصُدَّكُمْ عَن ذِكْرِ اللَّهِ وَعَنِ الصَّلاَةِ فَهَلْ أَنتُم مُّنتَهُونَ }[المائدة: 91]. وجاء وصف الخمر بالسنة بأنها أم الخبائث، كما في قوله (صلى الله عليه وسلم): (الخَمْرُ أُمُّ الخَبَائِث)[1].

وفي الأمن على المال حرم الإسلام كل ما يكون سبباً في إفساد المال وأكله بالباطل، كالربا، والغش، والسرقة، ونحو ذلك. ففي تحريم الربا، قال سبحانه: {الَّذِينَ يَأْكُلُونَ الرِّبَا لاَ يَقُومُونَ إِلاَّ كَمَا يَقُومُ الَّذِي يَتَخَبَّطُهُ الشَّيْطَانُ مِنَ الْمَسِّ} [البقرة: ٢٧٥].

وفي تحريم الغش والتحذير منه، قال النبي (صلى الله عليه وسلم) (مَنْ غَشَّ فَلَيْسَ مِنَّا) [2]. وفي تحريم السرقة بين الله سبحانه وتعالى جزاء السارق، فقال: {وَالسَّارِقُ وَالسَّارِقَةُ فَاقْطَعُواْ أَيْدِيَهُمَا جَزَاء بِمَا كَسَبَا نَكَالاً مِّنَ اللَّهِ وَاللَّهُ عَزِيزٌ حَكِيمٌ} [المائدة:38].

وقد حذر الله سبحانه وتعالى من أكل أموال الناس بالباطل، بقوله: {وَلاَ تَأْكُلُواْ أَمْوَالَكُم بَيْنَكُم بِالْبَاطِلِ}[البقرة:188]، وهكذا فكل ما كان سبباً في ضياع الأموال، وفقدان الأمن عليها، فإن الإسلام جاء بالنهي عنه حفاظاً لأموال الناس وتحقيقاً للأمن.

أما الأعراض فإنها في كثير من الأنظمة الدولية المعاصرة غير معصومة ولا محترمة، فهي لا تجرم الزنا إلا في حالات خاصة، ولا تجرم العلاقات المحرمة التي تنتهك الأعراض إلا بما يوافق نظمها ودساتيرها، بل فوق ذلك جاءت تشريعاتها بتقنينها وحمايتها، فلا أمن إذا على الأعراض في ظلها، ولكن في الشريعة الإسلامية جاءت بتحقيق الأمن التام فيها، فقد نهى الله سبحانه وتعالى عن كل الطرق المؤدية إلى الزنا بقوله: {وَلاَ تَقْرَبُواْ الزِّنَى إِنَّهُ كَانَ فَاحِشَةً وَسَاء سَبِيلا}[الإسراء:32].

كما حددت الشريعة الإسلامية عقوبة الزاني في الدنيا بالرجم للمحصن، والجلد والتغريب لغير المحصن، وفي الآخرة العذاب الأليم.

---

(1) السنن الكبرى للبيهقي، كتاب الأشربة، حديث رقم17832.

(2) أخرجه الترمذي، كتاب البيوع، حديث رقم 1315. وقال أبو عيسى: حديث أبي هريرة حديث حسن صحيح. والعلم على هذا عند أهل العلم: أنهم كرهوا الغش، وقالوا الغش حرام.

وهكذا، فإن الإسلام جاء بمنع كل طريق يؤدي إلى الإخلال بالأمن على مستوى الأفراد والجماعات والدول، والإيمان هو أساس الأمن، وهو السبب الأعظم الذي لا أمن إلا به، قال تعالى: {وَمَا نُرْسِلُ الْمُرْسَلِينَ إِلاَّ مُبَشِّرِينَ وَمُنذِرِينَ فَمَنْ آمَنَ وَأَصْلَحَ فَلاَ خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلاَ هُمْ يَحْزَنُونَ} [الأنعام:48]. فإذا انتفى الخوف والحزن، حصل الأمن التام، والسعادة، والفلاح الأبدي.

الثاني: لزوم الجماعة:

من الأسباب الرئيسة لأمن البلد، أمن شعبه مجتمعين متعاونين غير متفرقين ولا متناحرين، فالاجتماع لهم قوة وعزة، وبه يتحقق أمنهم واستقرارهم، ومن الحكم الظاهرة في وجود ولي أمر للمسلمين، هو أن يكونوا جماعة واحدة متعاونة متآلفة، فإن الجماعة رحمة والفرقة عذاب، ولذا فقد جاءت النصوص الشرعية تؤكد على هذا الاجتماع، وتحذر من الفرقة، والخروج عن الجماعة، فعن ابن عباس (رضي الله عنهما) عن النبي (صلى الله عليه وسلم)، قال: (من رأى من أميرِهِ شيئا يكرهه فليصْبِرْ عليهِ. فإنّه من فارق الجماعة شِبْرا، فماتَ إلا ماتَ ميتةً جاهليةً) [1]. وفي رواية (من كَرِه من أميرِهِ شيئا فليصْبِرْ عليهِ. فإنّه ليسَ أحدٌ من الناسِ خرج من السلطانِ شِبْرا ماتَ ميتةً جاهليةً) [2].

قال ابن أبي جمرة: (المراد بالمفارقة السعي في حل عقد البيعة التي حصلت لذلك الأمير، ولو بأدنى شيء، فكنى عنها بمقدار الشبر، لأن الأخذ في ذلك يؤول إلى سفك الدماء بغير حق) [3]. ولا شك أن سفك الدماء بغير حق من أشد مظاهر الخوف وفقدان الأمن.

ومعنى (مات ميتة جاهلية) أي كموت أهل الجاهلية على ضلال، وليس له إمام مطاع، لأنهم كانوا لا يعرفون ذلك، وليس المراد أنه يموت كافراً، بل يموت عاصياً، ويحتمل أن يكون التشبيه على ظاهره، ومعناه أنه يموت مثل موت الجاهلي، وإن لم يكن هو جاهلياً، أو أن ذلك ورد مورد الزجر والتنفير وظاهره غير مراد [4].

وعن أبي هريرة (رضي الله عنه) قال: قال رسول الله (صلى الله عليه وسلم): (من خرج من الطاعةِ، وفارقَ الجماعةَ، فماتَ، ماتَ ميتةً جاهليّةً. ومن قاتلَ تحتَ رايةٍ عميّةٍ، يغضبُ لعُصبةٍ، أو يدعو إلى عُصبةٍ، أو ينصر عُصْبةً، فقتلٍ، فقتلةٌ جاهليّةٌ. ومن خرج على أمّتي، يضربُ بَرّها وفاجِرها. ولا

---

(1) أخرجه البخاري، كتاب الفتن،حديث رقم6646.

(2) أخرجه البخاري، كتاب الفتن، حديث رقم6645.

(3) فتح الباري، ابن حجر 7/13.

(4) فتح الباري، ابن حجر 7/13.

يتحاشَ من مؤمِنِها، ولا يَفي لِذِي عهدٍ عهْدهُ، فليس مني ولستُ منهُ)[1].

كما جاء التوجيه بالاعتزال في حال إذا لم يكن للمسلمين جماعة ولا إمام، كما جاء في حديث أبي إدريس الخولاني حين أوصاه رسول الله (صلى الله عليه وسلم) قائلاً: (تَلزَمُ جماعةَ المسلمينَ وإمامَهم)، فسأل قائلاً: فإن لم تكن لهم جماعة ولا إمام؟ قال: (تعتزلْ تلك الفِرَقَ كلَّها، ولو أن تَعَضَّ بأصلِ شجرةٍ، حتى يُدركَكَ الموتُ وأنت على ذلك)[2].

وقد ابتليت بعض الدول بجماعات تنتهج الفرقة وتشذ عن الجماعة، متناسية تلك النصوص الشرعية التي تحذر من هذا المسلك وتتوعد عليه، ومما يزيد الأمر خطورة ما سلكته بعض الجماعات – زيادة عن الفرقة– من انتهاج العنف المسلح ضد بعض الحكومات والشعوب، سالكة في ذلك أساليب متنوعة من الاغتيالات، واختطاف الرهائن، والتفجيرات، وتدمير بعض المنشآت الحكومية والأهلية، ولا يخفى على عاقل فضلاً عن المسلم أن هذا من صور الإفساد في الأرض، الذي نهى الله سبحانه وتعالى عنه بقوله: {إنما جزاء الذين يحاربون الله ورسوله ويسعون في الأرض فسادا أن يقتلوا أو يصلبوا أو تقطع أيديهم وأرجلهم من خلاف أو ينفوا من الأرض ذلك لهم خزي في الدنيا ولهم في الآخرة عذاب عظيم}[المائدة: 33].

وإن العلماء ورجال الدعوة وبخاصة في المملكة العربية السعودية قد استنكروا تلك الأعمال الشنيعة، ومن هؤلاء العلماء الشيخ عبدالعزيز بن باز (رحمه الله)، فقد قال في إجابة عن سؤال حول إحدى التفجيرات التي حصلت في مدينة الرياض، ما نصه: (لا شك أن هذا الحادث أثيم ومنكر عظيم، يترتب عليه فساد عظيم، وشرور كثيرة، وظلم كبير، ولا شك أن هذا الحادث إنما يقوم به من لا يؤمن بالله واليوم الآخر، لا تجد من يؤمن بالله واليوم الآخر إيماناً صحيحاً يعمل هذا العمل الإجرامي الخبيث، الذي حصل به الضرر العظيم والفساد الكبير، إنما يفعل هذا الحادث وأشباهه نفوس خبيثة مملوءة بالحقد والحسد والشر والفساد، وعدم الإيمان بالله ورسوله، نسأل الله العافية والسلامة... إذا كان من تعرض للناس بأخذ خمسة ريالات أو عشرة ريالات أو مائة ريال مفسداً في الأرض، فكيف من يتعرض بسفك الدماء، وإهلاك الحرث والنسل وظلم الناس، فهذه جريمة عظيمة وفساد كبير... هذا التفجير ترتب عليه إزهاق نفوس، وفساد في الأرض، وجراحة للآمنين، وتخريب بيوت ودور وسيارات

---

(1) أخرجه مسلم، كتاب الإمارة، حديث رقم4763.

(2) أخرجه البخاري، كتاب المناقب، حديث رقم 3411. وانظر المزيد من أدلة لزم الجماعة في كتاب مفهوم جماعة المسلمين، عبدالرحمن بن معلا اللويحق، ص 7 وما بعدها.

وغير ذلك، فلا شك أن هذا من أعظم الجرائم، ومن أعظم الفساد في الأرض، وأصحابه أحق بالجزاء بالقتل والتقطيع بما فعلوا من جريمة عظيمة)[1].

وجاء أيضاً في خطبة للشيخ ابن عثيمين (رحمه الله)، استنكار لهذا النوع من السلوك – وهو التفجير– مبيناً (رحمه الله) ما يترتب عليها من المفاسد، فقال: لا شك أن هذه العملية لا يقرها شرع ولا عقل ولا فطرة... ما ذنب المصابين من المعاهدين والمستأمنين، ما ذنب الشيوخ والأطفال والعجائز، إنه لحادث منكر لا مبرر له، أما المفاسد:

فأولاً: من مفاسد ذلك أنه معصية لله ورسوله، وانتهاك لحرمات الله، وتعرض للعنة الله والملائكة والناس أجمعين، وألا يقبل من فاعله صرف ولا عدل.

ثانياً: من مفاسده تشويه سمعة الإسلام، فإن أعداء الإسلام سوف يستغلون مثل هذا الحدث لتشويه سمعة الإسلام، وتنفير الناس عنه، مع أن الإسلام بريء من ذلك، فأخلاق الإسلام صدق وبر ووفاء، والدين الإسلامي يحذر من هذا وأمثاله أشد التحذير.

ثالثاً: من مفاسده أن الأصابع في الداخل والخارج سوف تشير إلى أن هذا من صنع الملتزمين بالإسلام، مع أننا نعلم علم اليقين أن الملتزمين بشريعة الله حقيقة لن يقبلوا مثل ذلك، ولن يرضوا به أبداً، بل يتبرءون منه وينكرونه أعظم إنكار، لأن الملتزم بدين الله حقيقة هو الذي يقوم بدين الله على ما يريد الله، لا على ما تهواه نفسه، ويملي عليه ذوقه المبني على العاطفة الهوجاء، والمنهج المنحرف، وأعني بذلك الالتزام الموافق للشريعة، وهذا كثير في شبابنا ولله الحمد.

رابعاً: من مفاسده أن كثيراً من العامة الجاهلين بحقيقة الالتزام بدين الله سوف ينظرون إلى كثير من الملتزمين البرآء من هذا الصنيع نظرة عداء وتخوف وحذر وتحذير، كما سمعنا عن بعض العوام من تحذير أبنائهم من الالتزام.

خامساً: من مفاسد هذه الفعلة القبيحة –أعني التفجير– أنها توجب الفوضى في هذه البلاد، التي ينبغي أن تكون أقوى بلاد العالم في الأمن والاستقرار، لأنها تشمل بيت الله الذي جعله مثابة للناس وأمناً، ولأن فيها الكعبة البيت الحرام التي جعلها الله قياما للناس تقوم بها مصالح دينهم ودنياهم.

سادساً: ومن مفاسد هذه الفعلة الشنيعة ما حصل بها من تلف النفوس والأموال و...[2].

كما استنكرت هيئة كبار العلماء في المملكة العربية مثل هذه التصرفات، وأصدرت عدة بيانات في حوادث مختلفة[1].

---

(1) موقع الشيخ ابن باز : http://www.binbaz.org.sa

(2) جاء هذا الاستنكار في خطبة جمعه، انظر موقع الشيخ ابن عثيمين : (www.binothaimeen.com).

إن سنة الله ماضية في الأمم والشعوب لاتتبدل ولا تتغير ولا تجامل، وجعل سبحانه وتعالى من أسباب هلاك الأمم والشعوب الاختلاف، قال صلى الله عليه وسلم:(فإن من كان قبلكم اختلفوا فهلكوا، وفي رواية فأهلكوا)[٢].

وعن ابن حبان والحاكم عن ابن مسعود: (فإنما أهلك من كان قبلكم الاختلاف)، قال ابن حجر: وفي الحديث والذي قبله الحض على الجماعة والألفة، والتحذير من الفرقة والاختلاف.

وقال ابن تيمية – رحمه الله –: (وأمرنا الله تعالى بالاجتماع والائتلاف، ونهانا عن التفرق والاختلاف) [٣].

والاختلاف المهلك للأمة هو الاختلاف المذموم، وهو الذي يؤدي إلى تفرقها وتشتتها وانعدام التناصر فيما بين المختلفين، كل طرف يعتقد ببطلان ما عند الطرف الآخر، وقد يؤول الأمر إلى استباحة قتال بعضهم بعضاً.

وإنما كان الاختلاف علّة لهلاك الأمة كما جاء في حديث رسول الله – صلى الله عليه وسلم، لأن الاختلاف المذموم الذي ذكرنا بعض أوصافه، يجعل الأمة فرقاً شتى مما يضعف الأمة، لأن قوتها وهي مجتمعة أكبر من قوتها وهي متفرقة، وهذا الضعف العام الذي يصيب الأمة بمجموعها يجرئ العدو عليها فيطمع فيها، ويحتل أرضها ويستولي عليها ويستعبدها ويمسخ شخصيتها، وفي ذلك انقراضها وهلاكها [٤].

مراجع للاستزاده

١ -أمن البلاد أهميته ووسائل تحقيقه، عبدالرزاق بن عبدالمحسن البدر.

٢ -الأبعاد السياسية لمفهوم الأمن في الإسلام، مصطفى محمود منجود.

٣ -موقع الشيخ ابن باز على الشبكة العنكبوتية: www.binbaz.org.sa

٤ -موقع الشيخ ابن عثيمين على الشبكة العنكبوتية:www.binothaimeen.com

---

(١) ومنها ما صدر عن الهيئة في جلستها الاستثنائية المنعقدة في الرياض يوم الأربعاء 13 / 3 /1424 هـ حول حوادث التفجير التي وقعت في مدينة الرياض، وما حصل بسبب ذلك من قتل وتدمير وترويع وإصابات لكثير من الناس من المسلمين وغيرهم. (انظر الصحف السعودية الصادرة يوم الخميس 1424/3/14هـ).

(٢) أخرجه البخاري، كتاب الخصومات، حديث رقم3279.

(٣) مجموع الفتاوى، ابن تيمية، 446/3.

(٤) الحركة السنوسية في ليبيا،علي بن محمد الصلابي، 104/3.